إستراتجية جيش التحرير الوطني في مواجهة الحركات المضادة للثورة التحريرية بالولاية الرابعة 1955-1962 (حركة الشريف بن سعيدي أنموذجا)

د/ سعاد يمينة شبوط / قسم التاريخ/ جامعة تلمسان

- **الملخص:**

استوحى القادة العسكريون الفرنسيون بعد تفجير الثورة التحريرية في الجزائر،العديد من مشاريعهم القمعية ومخططاتهم السياسية والعسكرية من تجاربهم الاستعمارية المختلفة،التي كان قد سبق لهم أن لجئوا إليها في مستعمرات فرنسية أخرى.ويمكننا التدليل على هذه المقاربة بالعديد من المخططات والمشاريع التي استلهمتها السياسة الفرنسية من تجربة حرب الهند الصينية وتمّ تجريبها في"حرب الجزائر"مثل تشكيل الفروع الإدارية المتخصصة والمعاقل المضادة وتجنيد العملاء والحركى في وحدات تابعة للجيش الفرنسي مباشرة، بسبب اعتقاد الإدارة الاستعمارية في وجود أوجه تشابه كثيرة بين حركات التحرر الوطنية، ومن أهم تلك الأوجه اعتماد تلك الحركات على حرب العصابات الثورية المتنامية مع الجماهير المحيطة بها.

وعلى الصعيد العسكري استنجد سوستال بخبرة نخبة القيادة العسكرية الفرنسية وقد شرع هؤلاء في محاولة محاصرة الثورة عن طريق جملة من المخططات والمشاريع مثل إنشاء المناطق المحرمة والمحتشدات والفروع الإدارية الخاصة لمنع الجماهير الجزائرية من التواصل أو الالتفاف حول جيش التحرير الوطني، بعدها بدأ تفكير المكتب الخامس للجيش الفرنسي في وضع تصورات جديدة لإعادة هيكلة واستغلال العناصر العميلة في المواجهة العسكرية مثل فرق القومية والحركى والدفاع الذاتي وغيرها، وشرع في تنفيذ أولى

عمليات اختراق لجيش التحرير المعروفة باسم عملية العصفور الأزرق في المنطقة الثالثة منطقة القبائل.

وبالرغم من سلبية النتائج التي تم تحقيقها بفعل اكتشاف قادة المنطقة الثالثة للمكيدة الفرنسية إلا أن المصالح الفرنسية الخاصة وبدعم من الحكومة العامة في الجزائر لم تتوقف عن انتهاز الفرص وتكرار محاولات الاختراق وتوظيف المعاقل المضادة للثورة عندما أتاحت لها الظروف ذلك في الولايات الثالثة والرابعة والسادسة من خلال شخصيات معادية للثورة مثل: بلونيس وكوبيس والباشاغا بوعلام .

وسوف نحاول في هذه الدراسة التركيز على ظروف تشكيل معقل من المعاقل الكبرى المضادة للثورة التحريرية عرفت بحركة الشريف بن سعيدي في الولايتين السادسة والرابعة(1955-1962)نسبة لقائدها المنشق عن جيش التحرير الوطني والتحاقه بالجيش الفرنسي بعد اكتشاف خيوط مؤامرته من طرق قيادة جيش التحرير الوطني بالولاية الولاية الرابعة

National Libération Army strategy In the face of anti-revolutionary movements in the fourth mandate 1955-1962

(The movement of Sharif bin Saidi model)

Summary:

During the Algerian liberation revolution, French military officials created many repressive projects and political and military plans from their various colonial experiences, which they had already established in the other French colonies. This

approach can be demonstrated by many schemes and projects created by the French policy From the experience of the Indo-Chinese war and was tried in the war of Algeria, such as the formation of specialized administrative branches and counter-strongholds and the recruitment of agents in units of the French army directly, because of the belief of the colonial administration in the existence of many similarities between the movements of National liberation, and one of the most important aspects of the adoption of these movements on the growing guerrilla guerrilla war with the surrounding masses.

In the military field, they relied on the experience of the elite of the French military leadership. They began to try to besiege the revolution through a number of schemes and projects, such as the establishment of forbidden areas, camps and administrative branches to prevent the Algerian people from communicating or circumventing the ELN. The Fifth Office of the French Army began to think of new scenarios for the restructuring and exploitation of the agents in the military confrontation, such as self-defense and others, and initiated the implementation of the first breakthroughs of the Liberation Army known as Operation Blue Bird in the third region Kabylie

Despite the negative results achieved by the discovery of the French leaders of the third region of the French, but the interests of the French private and with the support of the

General Government in Algeria did not stop to seize opportunities and repeated attempts to penetrate and the use of anti-revolutionary strongholds when the conditions allowed it in the third and fourth And six by anti-revolutionary figures such as Blunis, Kubis and Pashaga in Boualam.

In this article, I would like to highlight the conditions of the formation of a stronghold of the great anti-revolutionary strongholds known as the Sherif Ben Saidi movement in the sixth and fourth states (1955-1962), which was named after its founder, the dissident of the National Liberation Army, National Liberation Army in the state fourth mandate.

-المقدمة

بعد تفجير الثورة التحريرية في الجزائر اعتمد الساسة والقادة الاستعماريون الفرنسيون ، العديد في مشاريعهم القمعية ومخططاتهم السياسية والعسكرية انطلاقا من تجاربهم الاستعمارية المختلفة ،التي كان قد سبق لهم أن لجئوا إليها في مستعمرات فرنسية أخرى. ويمكننا التدليل على هذه المقاربة بالعديد من المخططات والمشاريع التي استلهمتها السياسة الفرنسية من تجربة حرب الهند الصينية وتمّ تجريبها في "حرب الجزائر"مثل تشكيل الفروع الإدارية المتخصصة[1] والمعاقل المضادة وتجنيد العملاء والحركى[2] في وحدات تابعة للجيش الفرنسي مباشرة، بسبب اعتقاد الإدارة الاستعمارية في وجود أوجه تشابه كثيرة بين حركات التحرر الوطنية، ومن أهم تلك الأوجه اعتماد تلك الحركات على حرب العصابات الثورية المتنامية مع الجماهير المحيطة بها.[3]

وقد تمثلت ردود الفعل الاستعمارية في الأشهر الأولى للثورة في الحلول والبدائل العسكرية بشكل خاص وقد بدأت مباشرة بإعلان حالة الطوارئ وبتعزيز قواتها بصورة

استعجاليه، ثم القيام بعمليات تمشيط وقصف لمعاقل الثورة في منطقة الأوراس، ومع تعيين"جاك سوستال" وزيرا مقيما في الجزائر شهدت السياسة الاستعمارية تجاه الثورة منعطفا حاسما، عندما شرع هذا الأخير في رسم معالم سياسة عريضة ذات أبعاد خطيرة بالنسبة للثورة على الصعيدين السياسي والعسكري .

1- مخططات ومشاريع إنشاء المعاقل المضادة في الولاية الرابعة:

تقدمت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر على الصعيد السياسي بمشروع" إصلاحات"عرف باسم جاك سوستال نفسه، وتضمنت خليطا من القرارات الانفتاحية والإصلاحية والإجراءات الزجرية القمعية، كانت الغاية منها قطع الطريق على التطور السياسي والعسكري لجبهة وجيش التحرير الوطنيين ومنعها من امتلاك صفة التمثيل الشرعي والوحيد للقضية الجزائرية بواسطة احتواء الطبقة السياسية الوطنية التقليدية بمختلف تياراتها،ودفعها إلى تشكيل تكتل سياسي يكون بديلا "ثالثا" ظاهريا عن طرفي المواجهة الحقيقيين في ميدان المعركة،كما سعت سياسة سوستال في شقها القمعي إلى ترهيب الجزائريين عن طريق سنّ قوانين"استثنائية "تجعلهم تحت طائلة القمع بتهمة "المسؤولية الجماعية "عند أدنى شبهة تحوم حول احتكاكهم أو تأييدهم لجيش التحرير الوطني .

أما على الصعيد العسكري فقد استنجد سوستال بخبرة نخبة القيادة العسكرية الفرنسية،حيث شرع في استقدام أشهر جنرالات وعقداء الجيش الفرنسي من أمثال:سالان وبارلانج وفانوكسام ودوكورنو،من أجل الإسراع بوضع ترتيبات عسكرية ومخططات ومشاريع لإفشال "حركة التمرد في الجزائر " قبل استفحالها عن طريق " تحويل معقل التمرد في الأوراس إلى قبره "حسب قول الجنرال فانوكسام عشية القيام

بأولى العمليات العسكرية للجيش الفرنسي في نوفمبر 1954،و"لتصفية التمرد قبل أن يبلغ مرحلة التبويض"على حد تعبير بارلانج نفسه .

فشرع هؤلاء في محاولة محاصرة الثورة عن طريق جملة من المخططات والمشاريع مثل إنشاء المناطق المحرمة والمحتشدات والفروع الإدارية الخاصة لمنع الجماهير الجزائرية من التواصل أو الالتفاف حول جيش التحرير الوطني،[4]وبعدها بدأ تفكير المكتب الخامس للجيش الفرنسي في وضع تصورات جديدة لإعادة هيكلة واستغلال العناصر العميلة في المواجهة العسكرية مثل فرق القومية[5] والحركى والدفاع الذاتي وغيرها، وشرع في تنفيذ أولى عمليات اختراق لجيش التحرير المعروفة باسم عملية العصفور الأزرق في المنطقة الثالثة منطقة القبائل[6].

لكن بالرغم من سلبية النتائج التي تم تحقيقها بفعل اكتشاف قادة المنطقة الثالثة للمكيدة الفرنسية إلا أن المصالح الفرنسية الخاصة وبدعم من الحكومة العامة في الجزائر لم تتوقف عن انتهاز الفرص وتكرار محاولات الاختراق وتوظيف المعاقل المضادة للثورة عندما أتاحت لها الظروف ذلك في الولايات الثالثة والرابعة والسادسة من خلال شخصيات معادية للثورة مثل بلونيس وكوبيس والباشاغا بوعلام والشريف بن سعيدي

3- حركة الشريف بن سعيدي في الولايتين السادسة والرابعة 1955-1962:

لم تقتصر عملية مواجهة المعاقل المضادة للثورة في كل من الولايتين الرابعة والسادسة على حركتي بلونيس المصالية في سنوات 1955-1958وحركة كوبيس 1954-1958فحسب،بل شهدت كليْهما مواجهة أخرى مع معقل مضاد آخر في سنوات(1957-1962) اشتهر بتسمية معقل الشريف بن سعيدي نسبة لقائده المنشق عن جيش التحرير الوطني على إثر عمليات تصفية داخلية ذهب ضحيتها بضعة مئات من ضباط وإطارات وجنود الولايتين السادسة والرابعة في سنة1957

بطريقة غادرة وبسبب دعاية وعصبية قبلية،وأعقبتها عملية التحاق بالجيش الفرنسي بعد اكتشاف خيوط مؤامرته من طرق قيادة الولاية الرابعة .

كان القاسم المشترك الوحيد بين تجارب المعاقل المضادة في الولاية الرابعة يكمن في تقاطعها في العمالة للجيش الفرنسي،وعدائها الدفين لكل من جبهة وجيش التحرير الوطنيين ،وما عدا ذلك كانت حركة الشريف بن سعيدي تمثل نموذجا مختلفا كلية في الخلفيات التاريخية التي تسببت في ظهورها، لأنها لم تكن مثل حركة بلونيس التي حاولت توظيف علاقتها بالتيار المصالي الذي كان يشكل قطاعا عريضا من القيادة والقاعدة النضالية للتيار الاستقلالي العريق في الحركة الوطنية منذ عقود سابقة لحرب التحرير،كما أنها لم تكن مثل حركة كوبيس-بلحاج الجيلالي- التي كانت قيادتها ذات ارتباط تاريخي بالنشأة الأولى للتيار الثوري ممثلا في المنظمة الخاصة عام 1948.

ولم يكن هذا التمايز الوحيد بين معقل بن سعيدي والمعقلين الآخرين ، لأن الأهم من كل ما سبق،يكمن في فراغ الحركة من التوجهات والأبعاد السياسية الخاصة بها، وانحصارها جغرافيا في محيطها العشائري والقبلي الضيق،بشكل يجعلها أكثر شبها بمجموعات الحركى والعملاء الذين كانوا تحت قيادة الباشاغا بوعلام في منطقة الشلف منها بالتجربتين السالفتين .

وقبل الخوض في تفصيل تجربة الشريف بن سعيدي ارتأينا أن نخص قائد هذا المعقل المضاد للثورة بلمحة عن للتعريف بشخصيته،التي كانت شبه مجهولة في الكتابات التاريخية الوطنية منذ سنوات قليلة،لأن اللّثام لم يكشف عن مثل هذا الموضوع إلا بفضل انتعاش كتب المذكرات التاريخية التي كتبت أقلام ضباط ومجاهدين سابقين في جيش التحرير الوطني في الولايتين الرابعة والسادسة من أمثال:الرائد لخضر بورقعة والنقيب محمد صايكي وشايد حمود ومصطفى بن عمر والشريف ولد الحسين وغيرهم .

وفي المقابل ظلت المعطيات التاريخية الخاصة بالمواضيع الحساسة والعصيبة في تجربة حرب التحرير الوطني إلى وقت قريب جدا حكرًا على روايات وكتابات فرنسية بصورة تكاد تكون كلية،ووفق قراءات مغرضة ومدسوسة تعكس وجهات نظر الإدارة والجيش الاستعماريين بالنظر إلى اعتمادها المكثف على كتابات الساسة الفرنسيين وعلى وثائق المصلحة التاريخية للجيش البري الاستعماري.

1 – ترجمة شخصية موجزة للشريف بن سعيدي :

ولد الشريف بن سعيدي(إسمه الحقيقي هو العمبري الشريف بن سعيد)في عام 1925في دشرة أولاد عقون من عرش أولاد سلطان بقرية السواقي الواقعة شمال شرق مدينة عين بوسيف والتابعة آنذاك لبلدية ماجينو (شلالة العذاورة)، انخرط في الجيش الفرنسي في كتيبة القناصة الأفارقة في عام 1946 عندما كان في سن ال21 من العمر، وشهدت تجربته الطويلة في الجيش الفرنسي–حوالي 10 سنوات – عدة محطات منها ألمانيا ثم مدغشقر عام 1948،وبعدها أرسل إلى الهند الصينية أن قضى فترتين للخدمة العسكرية، كانت الأولى ما بين سنتي (1951–1953) والثانية خلال سنتي (1954–1955)،وأنهى خدمته في صفوف الجيش الفرنسي عام 1955 برتبة رقيب ثان بعدما تدرج في جميع الرتب الدنيا، وتحصل على أوسمة عسكرية منها وسام الاستحقاق العسكري.[7]

إن ما يمكن أن نستخلصه من مساره العسكري الاحترافي هو أن بن السعيدي لم يكن يمتلك أية مؤهلات ثقافية، ويؤكد هذا مصطفى بن عمر الذي يشير إلى أن اسمه الحقيقي هو العنبري شريف المعروف باسم شريف بن سعيدي، ويذكر أنه كان محدود الأفق والثقافة،ويرجح بن عمر أنه كان ورجاله ضحية لتلاعب ضباط "الصاص"(المصالح الإدارية المتخصصة–SAS–) بمنطقتهم[8]،لذلك لم يرتق إلى صف

الضباط رغم امتداد خدمته لأعوام عديدة،ولكن في المقابل تشير الكتابات الفرنسية، إلى أنه كان موضع تقدير من طرف قادته،وكثيرا ما كانت تقاريرهم تشير إليه بالانضباط الشديد والروح العسكرية المحترفة التي كانت تسيطر على تصرفاته.

كما عرف عنه أنه كان يبدي نزوعا شديدا للقيادة في منطقته، مستفيدا من خبرته السابقة في الجيش الفرنسي،ومن امتلاكه لبنية جسدية قوية واعتداده بعصبيته القبلية حيث أحاط نفسه بالعشرات من أبناء منطقته من عشيرته وأصهاره من عرش أولاد سلطان والكاف لخضر[9].

ويكاد يكون معقل بن السعيدي شبيه كُليّة بفرق الدفاع الذاتي التي شكّلها عملاء فرنسا في منطقة القبائل الصغرى(عائلة أورابح في نواحي الصومام)والباشاغا بوعلام في بني بودوان(الشلف)لولا ارتباطه بمؤامرة تصفية إطارات قيادة الولاية السادسة عن طريق الغدر والخيانة في الفترة القصيرة التي تولى فيها مهام في قيادة ناحية سور الغزلان،لأن بن سعيدي حرص وبقي كذلك على أن يتموقع رجاله في قرَاهم ومدا شرهم الأصلية في وسط بيئتهم وأهاليهم،وظهر ذلك في اختياره لمنزل عائلة من المعمرين في شلالة العذاورة اتخذ منه مقرًا لقيادته،وسار مساعدوه المقربون على خطّه،ومكث بذلك عن قرب من أفراد عائلته مثل أمه التي كانت تستغل قطعة أرض من عدة هكتارات في قرية السواقي –سقط رأسه–، وأخته وأبناؤها الأربعة وشقيقين له وثلاثة أعمام، كان منهم أثنين في الجيش الفرنسي في منطقة الأربعاء –بني سليمان – وأخر حارس حقول بعدما تقاعد من الجيش[10] وكان جميع قادة الفرق الذين اعتمد عليهم بن سعيدي في معقله من رفاقه وأبناء منطقته مثل قرومي عمار ومحمود محمد ولوناس الطيب ومحمد بن لخضر وبوعملة عبد السلام وقرودي حنية بن العربي المدعو

حامة، وقد تولى هؤلاء منذ بداية الانشقاق عن جيش التحرير قيادة الفرق الثلاث التي كان يشرف عليها بن سعيدي في منتصف عام 1957 .

وحول ظروف التحاقه بجيش التحرير الوطني في أواخر عام 1955،روى الشريف بن سعيدي بعض تفاصيلها لضباط الجيش الفرنسي بعدما طلب حمايتهم مقابل تقديم خدماته كعميل في صيف عام 1957،وجاء في روايته أنه تم خطفه من طرف أفراد من جيش التحرير الوطني في حاجز على الطريق عندما كان متوجها من قرية السواقي إلى مدينة سور الغزلان،لكي يتجند مرة أخرى في الجيش الفرنسي،ولما عثر المجاهدون بحوزته على استدعاء وبطاقة عسكرية، قاموا بتحويله إلى قائدهم المعرف بالروجي" النقيب عمور"[11] الذي أبقى عليه لاستغلال خبرته العسكرية[12].

ويؤكد الباحث الفرنسي جو توسون في مجلة إستوريا ما ذهب إليه الشريف بن سعيدي ،عندما أشار إلى أن بن سعيدي اتصل بالكتيبة الخامسة للصبايحية الخيالة الجزائريين في سور الغزلان في أواخر شهر رمضان من عام 1955 لتجنيده الذي كان مقررا أن يتم بعد عيد الفطر،ولما كان في طريق عودته إلى سور الغزلان وقع في أيدي الثوار [13].

وأضاف بن سعيدي في رسالة خطية له للمكتب الثاني الفرنسي 2 ième – Bureau – بأنه مكث طيلة 18شهرا في صفوف جيش التحرير،وكان طيلة الأشهر السبعة الأولى يقوم "بمهام نقل الأدوية والذخيرة "،قبل أن يتم ترقيته إلى قيادة فوج ثم فصيلة ،وهذا ما يعني أن تجربته الفعلية في صفوف جيش التحرير الوطني بالمنطقة بدأت في منتصف عام 1956،ولما كانت هويته غير معلومة للجيش الفرنسي في هذه الفترة وغير معروفة فقد كانت تقارير المكتب الثاني الفرنسي تشير إليه بعبارة "قائد المتمردين – الثوار– الذي كان ينشط في نواحي البرواقية– الربعية ".[14]

ومن خلال هذه الرواية يبدو أن بن سعيدي نجح في كسب ثقة علي ملاح وإطاراته في الفترة التي سبقت تأسيس الولاية السادسة، وهو ما يفسّر توليّة بن سعيدي لقيادة كتيبة [15] فيما بعد وترقيته من طرف علي ملاح إل رتبة ملازم أول التي سمحت له بعضوية مجلس قيادة المنطقة الثانية للولاية السادسة إلى جانب النقيب عمور"الروجي" في أواخر عام 1956 [16].

2- ظروف تشكيل معقل الشريف بن سعيدي 1955-1957:

تعثرت جهود تنظيم منطقة الصحراء في مرحلة الانطلاقة للثورة التحريرية بسبب اعتقال ثم استشهاد مصطفى بن بوالعيد في الفترة الممتدة من فيفري 1955 إلى مارس 1956،ودخلت بعده منطقة الأوراس في فترة شديدة التوتر والارتباك الداخلي إلى ربيع عام1957،وهكذا لم تتطور الناحية الثالثة للمنطقة الأولى(نواحي أولاد جلال-مشونش في جنوب الأوراس)التي كان بن بو العيد على تواصل مع قادتها مثل الحسين برحايل وسي الحواس وزيان عاشور وعمر إدريس إلى الغاية المنشودة .[17]

وتحول معظم هؤلاء إلى قادة محليين معزولين حاولوا مد نشاطهم غربا نحو المسيلة وبوسعادة والجلفة في سنتي1955-1956،ولم تكن لقيادة الثورة في العاصمة آنذاك أية اتصالات أو تنسيق معهم لذلك سعت كل من المنطقتين الثالثة(القبائل) والرابعة خلال مطاردة المصاليين منذ أواخر عام 1955 إلى مد نفوذهما نحو الجنوب الذي ظل خارج نطاق التنظيم السياسي والإداري للثورة.[18]

ولما انعقد مؤتمر الصومام تقرر تشكيل الولاية السادسة في منطقة الصحراء،وكُلف العقيد علي ملاح بقيادتها والعمل على تنظيم الثورة فيها انطلاقا من منطقة سور الغزلان،وتقرر أن يستعين ملاح بإطارات وحدات من جيش التحرير في الولايتين الثالثة والرابعة،وبخصوص المسألة يشير المجاهد الهادي بن هني المدعو أحمد ديرة [19] بأن

الولاية السادسة الفتية كانت خلال هذه المرحلة الحاسمة تعاني من مشاكل تنظيمية صعبة تمثلت بشكل خاص في مشكلتي التأطير والتسليح[20].

وتذكر الباحثة حسيني عائشة أنه قبل توجه علي ملاح إلى الولاية السادسة، تم عقد اجتماع ضم العقيدين علي ملاح وأوعمران والرائد بوقرة في جبال الأخضرية(المنطقة الأولى للولاية الرابعة) تم خلال ذلك تقسيم كومندو علي خوجة لكي ترافق مجموعة منه علي ملاح نحو منطقة سور الغزلان والبرواقية وبتاريخ22-23 أكتوبر 1956 عقد العقيد أوعمران بحضور العقيد علي ملاح اجتماعا آخر لإطارات الولاية الرابعة في منطقة الخماخمية(البرواقية)،وطلب من مجموعة منهم مرافقة علي ملاح ومساعدته على نشر تنظيم الثورة في الجنوب .[21]

وهكذا بدأ العقيد علي ملاح مهمته في قيادة الولاية السادسة في خريف1956 حينما اتخذ من قرية أولاد عابد جنوب قصر البخاري مقرًا لقيادته[22]، ثم قام بتقسيم ولايته إلى منطقتين:الأولى منطقة سور الغزلان وعين على رأسها الرائد عبد الرحمن جوادي،ثم عين على رأس المنطقة الثانية (قصر البخاري) النقيب عمور المدعو "الروجي"(إسمه الحقيقي جفال أحمد)[23].

بعد ثلاثة أشهر من بداية قيادة علي ملاح للولاية السادسة، تمكن في ديسمبر 1956 من تشكيل فيلق من 375 مجاهد تم تقسيمهم إلى ثلاث كتائب كلفت بمطاردة أتباع بلونيس في معاقلهم بنواحي بوسعادة والجلفة ودارالشيوخ،وأسندت قيادة الفيلق وكتائبه كل من الرائد جوادي والنقيب عمار الروجي والملازم الشريف بن السعيدي .[24]

لم تكن العلاقة بين الشريف بن سعيدي ومسؤوله المباشر النقيب عمور"الروجي"خالية من التوتر وتذهب معظم الكتابات الفرنسية إلى ترويج فكرة مفادها أن السبب الرئيسي في انشقاقه عن جيش التحرير يعود إلى امتعاضه من السلوك الحاد والتصرفات السيئة للنقيب عمور ورجاله الذين قَدموا معه من الولاية الثالثة [25] .

وفي نفس السياق يذكر المجاهد عبد القادر خليفي[26] المعروف باسمه الثوري "المدرب"بأن النقيب عمور"الروجي"صدرت منه عدة تصرفات غير لائقة سببت الكثير من الأذى والمشاكل لسكان
المنطقة.[27]

والذين كانوا يتصرّفون وكأنهم في"أرض غزو" على حسب تعبير جيبلرت مينيي[28]، إذْ كانوا يتهجّمون على الحرمات والأعراض ويمارسون الزواج القسري،ويبطشون حتى بالحيوانات والممتلكات. وتضيف هذه الكتابات أن قادة الولاية الوافدين من القبائل كانوا يكلّفون مجاهدي المنطقة بالمهام الخطيرة،ولا يحسنون الحديث بغير اللهجة القبائلية ولا معاملة المجاهدين والسكان المحليين .

ولم ينفرد بهذه الرواية مؤرخ فرنسي واحد فحسب، بل تواترت لدى الكثير منهم مثل إيف كوريير وهنري لومير وجيلبرت مينيي وجاك فاليت وجون توسون وغيرهم، وروجت بكثافة دون تدقيق كمبرر وذريعة لانقلاب بن سعيدي وخيانته، وكمنطلق في قراءة تجربة حرب التحرير في سياق ثنائيات وهمية من قُبيل "حرب الجزائريين"، "الشمال ضد الجنوب" "المسلحين ضد المثقفين" "الداخل ضد الخارج " "العرب ضد القبائل " "القبائل ضد الشاوية "وغيرها مما أبدع دجّالو التاريخ من الفرنسيين من ذوي العدوى الكولونيالية.

وتتناثر اقتباسات خطيرة من هذه الرواية حتى في الكتابات الجزائرية حول "قضية الشريف بن سعيدي".وهذا رغم توفّر المذكّرات التاريخية التي تتضمن شهادات عديدة لمجاهدي وضباط وإطارات الولايتين الرابعة والسادسة،والتي تُفنّد معظم هذه الأكاذيب التي لفقتها تقارير المكتب الثاني في الجيش الفرنسي ثم وجدَت لها طريقا إلى الكتابات الفرنسية التي استفادت طويلا من احتكارها لتاريخ حرب التحرير وقدّمته بعين واحدة مصابة بقصر النظر في الكثير من الأحيان.[29]

3- خيوط المؤامرة وتطوراتها:

بدأت قصة خيانة بن سعيدي في أعقاب خلافات متعددة مع النقيب عمور ووفقا لرواية من الروايات الفرنسية قام بن سعيدي على إثر نوبة غضب سريعة بإطلاق النار عليه من مسدسه،فأرداه قتيلا أمام جمع الإطارات والجنود في أعقاب اجتماع لهم[30] في مكان يعرف باسم"كرمة الشيخ"[31] وقبل شُيوع خبر تصفية عمُّور شارك بن سعيدي في اجتماع عقده علي ملاح رفقة عدد من إطارات الولاية السادسة،وتمكّن من إقناع بعض هؤلاء مثل سي لحسن وبلعيد والزوبير من مرافقته لتعريفهم بمنطقته، وغدر بهم في كمين دبر لهم مسبقاً [32] .

بعدها قام بن سعيدي بتصفية الرائد عبد الرحمن جوادي قائد المنطقة الأولى للولاية السادسة وشرع في تصفية جماعية لبضعة مئات من الجنود القبائل دامت عدة أيام حسب إيف كوريير[33] أما الناجون منهم فقد فروا باتجاه الولايتين الثالثة والرابعة .

استقر بن سعيدي في منطقته بعين بوسيف وجمع شمله وأنصاره، وراسل العقيد علي ملاح من أجل اللقاء به ليطْلعه على تطورات هامة للوضع، واتفق الرجلان على اللقاء في دشرة" أولاد بجّة "في نواحي جبل شعون[34]،وهناك تمكن بن سعيدي من تصفية علي ملاح ومرافقين له رميا بالرصاص في كمين(ليلة رمضان لذلك العام)بتاريخ 31

مـارس1957 ثم أوْهـم سـكان دوار الحيدوريـة المقيمـين بالجبـل بأنـه قـام بتصـفية حركى،وتظاهر بالإسراع في دفنهم خوفًا من بطش الجيش الفرنسي إذا علم بالحادثة [35].وعلى إثرها واصل بن سعيدي تصفية جميع المجاهدين الذين وَفدوا مع العقيد علي ملاح من الولايتين الثالثة والرابعة [36].

وتختلف الرواية الجزائرية لظروف التصّفيات والأسباب المباشرة لها عن ما سلف ذكر، إذ ذهبت شهادات وكتابات كل من حمود شايد ومحمد صايكي ولخضر بورقعة إلى أن بداية مؤامرة بن سعيدي كانت في أعقاب فَشله في القيام بمهمة لجلب السلاح من الولاية الخامسة في بداية مارس1957 حيث عاد على رأس الكتيبة الثالثة إلى الولاية السادسة متذرّعا بالخطر الشديد وصعوبة المسالك فعنّفه النقيب عمّور على تخَاذله وكذلك راسله العقيد علي ملاح متوعّدا إياه بالعقوبة في حال عدم إتمامها، لأنه لم يتقبل فكرة عجز عسكريّ محترف مثل بن سعيدي أمام مهمة كتلك .[37]

فقـام بجمـع مقربيـه ورجالـه وأطلعهـم علـى نوايـاه في تصـفية قـادة الولايـة السادسة،وأطلعهم على تهديد علي ملاح له بالعقاب في حال العودة بدون الأسلحة التي كـان عليهم جلبهـا مـن الولايـة الخامسـة[38] ولعـل تعيـين علـي مـلاح للنقيـب عمور"الروجي" على قيادة المنطقة الثانية (قصر البخاري) في مطلع نفس الشهر،ساهم في زيادة التوتر بين القائد الجديد للمنطقة ونائبه بن سعيدي وعجّل بحدوث خلافات عمّقت الهوة بينهما إلى درجة العدَاء الشخصي،وتتفق الروايات الشفوية المتداولة لدى كل من محمد صايكي وحمود شايد بأن علي ملاح ومجموعة من مرافقيه كانوا أوّل ضحايا بن سعيدي في ناحية درّاق بقرية السيوف في31مارس1957 [39]،ثم تمت تصفية النقيب عمور في 02أو03 أفريل بعد استدْراجه بخدعة من طرف بن سعيدي

الذين زعم الرغبة في مرافقته للقاء علي ملاح،ونصب له كمينا بمكان يدعى كرمة شيحة.[40]

وتلت ذلك أكبر عملية لتصفية الجنود والإطارات القبائل في المنطقة الأولى من الولاية السادسة (سور الغزلان)،حيث تم إعدام ما يزيد عن 300 مجاهد من الذين قدموا من الولاية الثالثة في أقل من شهر (أواخر مارس إلى منتصف أفريل1957).وتختلف الكتابات الجزائرية والفرنسية كثيرا في تقدير العدد الحقيقي للخسائر التي تكبّدها الولاية السادسة من جراء"قضية العميل بن سعيدي"،إذ تتراوح ما بين 300 [41] و600[42] و1000[43] جندي وضابط وإطار .

تمكن الشريف بن سعيدي من التكتّم عما جرى من وقائع وعن نواياه في تولي قيادة الولاية بعدما رقّى نفسه إلى رتبة عقيد،وعمل على إشاعة التضليل حول اختفاء الإطارات والقادة لبضعة أسابيع،لكن بعض الناجين من التصفيات سارعوا إلى إطلاع إطارات الولاية الرابعة في المناطق المحاذية بوجود مؤامرة في الولاية السادسة[44]،ويذكر محمد صايكي أن مجاهدي المنطقة الأولى للولاية السادسة عن طريق عضو قيادتها علي البسامي هم الذين قاموا بإبلاغ قادة الولاية الرابعة بالشكوك التي كانت تحوم حول دور محتمل لبن سعيدي في مؤامرة داخلية بولايتهم[45].

4- – كشف مؤامرة بن سعيدي من طرف قيادة جيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة:

جاء تدخل الولاية الرابعة في ماي 1957 عندما أرسل العقيد سي صادق (دهيليس)نائبيه الرائدين سي أمحمد بوقرة (المحافظ السياسي)وسي لخضر(القائد العسكري) مرفوقين بالنقيب عزالدين (رابح أزراري) على رأس"كومندو علي خوجة "لتسوية الوضع في الولاية السادسة.

تم استدعاء بن السعيدي من طرف قادة الولاية الرابعة في اجتماعات عديدة حضرها عدد من ممثلي أعيان القرى والمداشر،فنفى بن سعيدي صلته بتصفية علي ملاح وغيره من الإطارات،وفي الوقت الذي كان فيه الرائد بوقرة يقوم بدوره في التحسيس والتوعية بأهمية الوحدة ونبذ الجهوية والعزلة استشعر بن سعيدي الخطر فقام باتصالات سرية مع أحد مراكز الجيش الفرنسي من أجل التحضير للانشقاق عن جيش التحرير .[46]

لما علم الرائد بوقرة باتصالات بن سعيدي مع الجيش الفرنسي ، قرر الدعوة إلى اجتماع ختامي في دوار أولاد عقون[47] "مسقط رأس بن سعيدي" لشرح وتسوية الوضع بحضور القادة جمعهم مع ممثلين عن القرى، وعندما وصل المدعوون افتتح بوقرة الاجتماع بعرض شامل للقضية من خلال شهادات مختلفة، ثم شرع في طرح أسئلة حول مقتل علي ملاح على بن سعيدي الذي أنكر مجددا علمه بمن ومتى وأين كلها .

وعندما طلب بوقرة من كاتب بن سعيدي عرض تقرير عن الوضعية المالية للولاية السادسة أمام الحضور،وقع في هفوة لما ذكر ما تم العثور عليه من أموال لدى القادة الذين قتلوا في التصفيات وكان علي ملاح ممن ذكرهم ضمن قائمة أسماء موثّقة في التقرير، الأمر الذي كشف علاقة بن سعيدي بالأمر وكذبه .

انقلب الموقف كلية لصالح الرائد بوقرة، لكنه تظاهر أمام الحضور بالحاجة إلى الوقت لمعرفة تفاصيل أكثر بعدما تناول وجبة العشاء، وأسرّ بوقرة لنقيب عز الدين بأن يتعمّد فسح المجال لفرار بن سعيدي ورجاله وسط دهشة هذا الأخير الذي استغرب السماح له بهده الفرصة بدل القصاص منه أمام الملأ،فرد بوقرة بأن فراره سوف يكون شهادة الإدانة بالنسبة له أمام الجميع[48]، وهو ما حدث بالفعل،إذ سارع

بن سعيدي رفقة20 من رجاله بالفرار والالتحاق بعد يوم فقط كشف مؤامرته بالجيش الفرنسي رفقة 150 فرد من رجاله[49].

وبهذه الخطوات المتأنية تمكن بوقرة بفعل حنكته كمحافظ سياسي بارع، وكقائد فذّ ومتواضع يمتلك خاصية التواصل مع محيطه بقدرة كبيرة، نجح في إعادة رصّ الصفوف وفي فضح خيانة بن سعيدي واستعادة ثقة سكان المناطق التي قام هذا الأخير بتسميمها عن طريق زرع الشقاق والعصبية والخيانة، حتى أن كوريير الذي أفرد تفاصيل دقيقة لهذا الموضوع ذكر أن ممثلي سكان القرى والمد اشر الذين كانوا شهودا على فرار بن سعيدي من الاجتماع تحت جنح الليل، سارعوا إلى ما يشبه مبايعة بوقرة على الولاء وطلبوا منه تعيين قائد جديد عليهم[50].

5- نهاية المؤامرة واستمرار الخيانة:بن سعيدي في العمالة للجيش الفرنسي 1957-1962:

انتهت مؤامرة بن سعيدي لكن خيانته استمرت مباشرة بعد فضحه،إذ سارع إلى الالتحاق بالجيش الفرنسي في جوان 1957،إذ طلب في رسالة له بتاريخ 21 من نفس الشهر وجهها إلى مركز للدرك بعين بوسيف إعطاءه الأمان ولرجاله وأسرهم مقابل وضع أنفسهم في خدمة الجيش الفرنسي[51].

لم تتجاوز المجموعة التي التحقت معه بالجيش الفرنسي تتجاوز17 فردا مسلحا بقطع حربية في البداية،لكنه بعدما تحصل على موافقة الجيش الفرنسي على تكوين مجموعات حركى في مجال محدد (شلالة العذاورة-عين بوسيف)،التحق به150 فرد مسلحا ببنادق صيد من أبناء منطقته[52]،ثم بتشجيع من الجنرال الفرنسي بويي قام بن سعيدي بتجنيد أعداد أخرى حتى بلغ تعداد هم 330 فرد في سبتمبر 1957

قسّمهم على ثلاث كتائب مكونة كل منها من 110 رجل وِفْق منوال شبيه بجيش التحرير الوطني[53].

المجموعة: 100 عنصر.

القائد الضابط شريف(شريف بن سعيدي)

المجموعة الأولى.	المجموعة الثانية.	المجموعة الثالثة*.
القائد قرومي عمار	القائد محمود محمد	القائد لونيس الطيب
دوار سواقي	دوار تيرغان	دوار زنيم

*القائد الذي جاء فيما بعد محمد لخضر وقد تمركزت في دوار زيانة.

(ملاحظة:الوحدات الإضافية مشكّلة من 200عنصر).[54]

تحسن مستوى تسليح معقل بن سعيدي بصورة متزايدة بعد دعمه من طرف الجيش الفرنسي بأسلحة حربية حيث تم تقديم بنادق رشاشة عيار 24-29 مسدسات رشاشة ماس38،واشترط الجيش الفرنسي ارتداء رجال بن سعيدي لبدلات عسكرية كاملة .

وسارع الفرنسيون إلى وضع بن سعيدي تحت رقابة ضباط مكتب الفرع الإداري المتخصص في شلالة العذاورة و100 عنصر من الوحدة المعروفة ب الصدمة 11،إذ عين الجنرال بويي النقيب لاربات ليكون ضابط اتصال معه حول تطور معقل بن

سعيدي، وللإشراف على تنصيب شبكة اتصالات تشرف على العمليات بعدما بلغ رجاله تعداد 600 رجل في عام 1958 .

كانت خدمات العميل بن سعيدي ورجاله للجيش الفرنسي في الفترة(1957-1960)متعددة وشبيهة بالمهام التي كانت تقوم بها مجموعات الحركى في بقية مناطق البلاد ، إذ كانوا يقومون بإعدام عناصر التنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني ويشاركون في الكمائن والاشتباكات ضد وحدات جيش التحرير ،ومارس بن سعيدي النهب والسلب المادي (الأموال) والعيني(الحبوب والماشية) على سكان المناطق الممتدة من عين بوسيف وشلالة العذاورة وسور الغزلان وسيدي عيسى ودوار جوّاب[55].

على إثر انقلاب13 ماي1958،لبى"العقيد"بن سعيدي برفقة كتيبةمن رجاله دعوة لحضور الاحتفالات في العاصمة،وبعد عودته شرع في ربط علاقات وثيقة مع أعيان المنطقة البارزين من أمثال الأغا بخايل في سور الغزلان، ونجح في جمع ثروة كبيرة بفعل الابتزاز والنهب،وكان كثير ما يتباهي في مراسلاته مع الجيش الفرنسي بأنه "الوحيد من بين أصدقاء فرنسا الذي قام بتصفية أكثر من 600 "فلاقة"،حتى قبل انضمامه للجيش الفرنسي،وبأنه ورجاله فعلوا كل ما يستطيعون لكي يثْبتوا أنهم فرنسيين حقيقيين"(أنظر نص رسالة لبن سعيدي مؤرخة في عام 1960)[56]

في جانفي1961 تلقى عامل المدية أوامر من الحكومة الفرنسية تقضي بحل جيش بن سعيدي، الذي أكمل مساره العسكري في الجيش الفرنسي برتبة نقيب، وبعد فترة قصيرة من الخدمة في ألمانيا،تقاعد بصورة مبكرة بعد انهيار حالته النفسية،ثم واصل العمل في مغسلة للثياب في ضواحي باريس إلى وفاته[57].التي لم نجد لها تحديدا في معظم الكتابات الفرنسية التي تناولت موضوع المعاقل المضادة للثورة خلال حرب التحرير لم يكن معقل شريف بن سعيدي حركة منافسة لجبهة التحرير الوطني في

جوهرها ، لضعف تكوين قائدها وانحصارها في بيئة ريفية معزولة، وإنما وليد حركة غدر وخيانة حركتها العصبية القبلية وغذتها النزعة العشائرية والنزوع الشخصي للقيادة، ولم يعد يشكل بن سعيدي بعدما أصبح"قائد مجموعة حركى"خطرا حقيقيا على الثورة بالقدر الذي كان عليه عندما يقوم بتصفياته الغادرة لرفاقه في جيش التحرير الوطني من قبل .

لذلك ليس من الموضوعية في الكتابات التاريخية الفرنسية المباهاة بأن معقله تمكن من الاستمرار تحت حماية الجيش الفرنسي حتى نهاية الثورة،لأن ذلك المعقل لم يختلف في شيء عن فرق الحركى المزروعة في الفروع الإدارية الخاصة وفي طليعة الفيالق العسكرية الفرنسية خلال عمليات التمشيط التي كانت تقوم بها .

– الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي حاولت فيه التركيز على نماذج أخرى من السياسات الاستعمارية الهادفة إلى بعث تجربة المعاقل المضادة للثورة التي ارتبطت بتاريخ الولاية الرابعة الثوري، منذ الانطلاقة سنة 1954 إلى فترات متأخرة من عمر الثورة التحريرية،وقفت على جملة من النتائج المهمة التي نذكر منها:

– استوحى القادة الاستعماريون الفرنسيون بعد تفجير الثورة التحريرية في الجزائر،العديد من مشاريعهم القمعية ومخططاتهم السياسية والعسكرية من تجاربهم الاستعمارية المختلفة في الهند الصينية،ومن أهمّ وأخطر هذه السياسات تجربة "الحركات المضادة للثورة"

–إن الموقع الإستراتيجي الذي تميزت به الولاية الرابعة لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، جعلها تنال اهتماما كبيرا في الحسابات الفرنسية وهو ما دفع بالمصالح الفرنسية إلى إحياء تجاربها القديمة التي كان قد سبق لهم أن طبقوها في مستعمرات فرنسية أخرى من خلال تشكيل المعاقل المضادة للثورة لحماية اقتصادها وجعل هذه المعاقل حزاما

أمنيا لحماية طرق المواصلات البرية التي زادت أهميتها بعد اكتشاف البترول في منطقة إيجلي 1956.

– تندرج حركة شريف بن سعيدي ،ضمن ما عرف بالحركات المناوئة للثورة التحريرية في الولاية الرابعة التي أصبحت بعد الانطلاقة مرتعا خصبا لنموها،الأمر الذي استغلته المصالح الفرنسية الخاصة لضرب الثورة واختراقها من الداخل عن طريق تكوين" معاقل مضادة" على غرار ما قامت به في منطقة القبائل ومشارف الصحراء.

–كان لحركتي شريف بن سعيدي نتائج سيئة للغاية على النشاط الثوري في بعض المناطق (الأولى والثالثة) من الولاية الرابعة وبقيت آثارها إلى فترة متأخرة من عمر الثورة التحريرية، حيث كانت سببا مباشرا في تعثر النشاط الثوري،وعرقلت تغلغل نظام جبهة وجيش التحرير الوطني في الأماكن التي انتشرت فيها وشتتت الصفوف وزرعت الفوضى والاضطراب واستنزفت قوى جيش التحرير الوطني حيث تسببت في تصفية عدد كبير من المجاهدين والإطارات وقادة الثورة كان على رأسهم العقيد علي ملاح والنقيب عمار المدعو الروجي والقائد عبد الرحمن جوادي والرائد بوقاسمي الطيب المدعو الطيب الجغلالي الذي لقي نفس المصير فيما بعد.

– طرحت قضية شريف بن سعيدي مشكلة من أعقد المشاكل التي واجهتها الثورة التحريرية وبقيت تلقي بضلالها في المنطقة إلى يومنا هذا والعصبية القبلية والخصوصية المحلية التي تميز بها شريف بن سعيدي والكثير من إطارات الولاية السادسة سمحت له بترويج أفكاره الانقسامية والوقوف ضد قادة وإطارات الولاية الثالثة (القبائل) مستغلا الأخطاء التي ارتكبها النقيب عمار(الروجي) لإثارة الفتنة وإيقاظ النزعة الجهوية التي أدت إلى تمزيق وحدة الصف وزادت المتاعب لقيادة الثورة.

– تمكنت قيادة الثورة في الولاية الرابعة، من القضاء على حركتي شريف بن سعيدي وتسوية الأوضاع المترتبة عنها،ففي ربيع 1957،عادت المنطقة الأولى(سور الغزلان) إلى الولاية الرابعة،باسم المنطقة الرابعة،وليس إلى الوضع الذي كانت عليه عند الانطلاقة في أول نوفمبر 1954، كما ورد في شهادة المجاهد خليفي عبد القادر،المدعو المدرب،التي تذهب إلى القول بأن منطقة سور الغزلان كان عشية اندلاع الثورة في أول نوفمبر1954 مقسمة من الناحية التنظيمية بين المنطقة الثالثة (القبائل) والمنطقة الرابعة،(الجزائر وضواحيها)وتعود خلفية الإجراء التنظيمي الذي أقدمت عليه قيادة الثورة بضم المنطقة (سور الغزلان) إلى الولاية الرابعة حسب رأي إلى نوعية العلاقة التي تركتها أزمة شريف بن سعيدي،بين سكان المنطقة وقادة وإطارات الولاية الثالثة (القبائل) بعد تنامي النزعة القبلية والنعرة الجهوية التي تميز بها سكان المنطقة اتجاه الوافدين من الولاية الثالثة،وبسبب هذه الحساسية ضمت منطقة سور الغزلان إلى الولاية الرابعة، لتصفية الأجواء وتفاديا الوقوع في مثل هذا النوع من المشاكل المعقدة التي واجهتها الثورة التحريرية في الكثير من الأحيان.

–الهوامش:

[1] – **الفروع الإدارية الخاصة**:(Les Sections Administratives Spécialisées ,S.A.S):هو الأداة الرئيسية لجهاز العمل النفسي للجيش الفرنسي في الأرياف، خلف مكان مصلحة شؤون الأهالي المنشأة في المغرب الأقصى إبان الحماية ، يديره ضابط في الجيش، يكرس هيمنة العسكر على التأطير الإداري للسكان .هذه الهيئة تسمح بتطويق الإقليم والتحكم الصارم في السكان عبر تقديم العلاج لهم وتربيتهم وإحصائهم، وإخضاعهم لمراقبة يقظة، الهدف من هذه المصلحة ،حسب استراتيجي الجيش الفرنسي يرمي إلى عزل جبهة التحرير الوطني عن مجالها الحيوي.وقد كان التقرب من السكان الجزائريين الحجر الأساس للسياسة التي كانت تدعى "التهدئة" مع ما كان يقابلها من جهة أخرى من قمع عسكري ، وكان يقود هذه المعركة عناصر عسكرية كان لها دور محدد

وهو الرعاية والاهتمام بالبلديات الجديدة. إن الستمائة قسم إداري تقريبا التي كانت قائمة في 1957 كانت تحاول تطويق القرى والمد اشر بالقيام بإعمال ذات طابع اجتماعي ، دون إغفال مهمتها الرئيسية الرئيسية وهي جمع المعلومات حول المجاهدين التي ترسلها إلى الوحدات العملياتية ، كانت المصالح الإدارية الخاصة تقابلها في المدينة مصالح الإدارة الحضرية في المدن، كان الجنرال "باتريوت" هو المفتش العام للمصالح الإدارية الخاصة، التي كانت تقدر بـ 697 وحدة في ماي 1960، وقد ارتفع هذا الرقم بسرعة ليقترب من الألف وحدة مع خلق ملحقات لها،أنظر: عاشور شرفي،**قاموس الثورة الجزائرية(1954–1962)**،تر:عالم مختار،دار القصبة الجزائر،2007،ص263–264.

[2]–**الحركة (Les Harkies)**:مصطلح يعني الأعوان الجزائريين في الجيش الفرنسي الذين يستخدمون كمستطلعين، يتحركون بدون توقف في أرجاء البلاد، وهو ما يعنيه اسمهم وتوسع المعنى ليشير عموما إلى أنواع من الجنود الإضافيين والمتعاونين والخونة من كل شاكلة . لقد اختاروا أو أنهم أرغموا على قتال إخوانهم الجزائريين شكل مصيرهم جانبا من الجوانب المؤلمة للمأساة الجزائرية، شكلت أول وحدة للحركة تفي الأوراس في نوفمبر 1954 للقتال إلى جانب الجنود الفرنسيين ، المتطوعين منهم شكلوا ابتداء من 1956 وحدات يؤطرها ضباط فرنسيون إنهم هم الذين يقومون بعمليات التمشيط في الجبال. أحيانا هم«مغاوير المطاردة" لدى المظليين.وينخرط الحركي ي بناء على عقد لمدة محددة قابلة للتجديد، يتلقى أجرا قدره 7.50 فرنك مقابل كل يوم بالإضافة إلى منحة تعويض في المهمات، ومنحه أخرى في حالة الإصابة بجروح (أو تتلقاها أسرته في حالة وفاته)، له الحق في عطلة مدفوعة الأجر لكن عليه أن يتحمل مأكله. جهزوا في البداية بمجرد بنادق صيد، ثم تحصلوا على أسلحة حربية. في فيفري 1961، بلغ عددهم أوجه ، وأحصى منهم 61.600.وفي نهاية الحرب بتاريخ 19 مارس 1962، قدر تقرير لوزارة الداخلية المسلمون المنخرطون المسلحين إلى جانب فرنسا بالجزائر (حركيين، مخازنية، مجموعات الدفاع الذاتي، المجموعات المتنقلة للحماية) بـ 263.000 رجل : 20000عسكري محترف، 40.000 مجند في إطار الخدمة العسكرية، 58000 حركي، 20000 مخازني 15000 عضو في مجموعات الحماية الريفية المتنقلة، الذين أدمجوا فيما بعد الكتائب الجمهورية للأمن CRS، 60000 عنصر من مجموعات

الدفاع الذاتي، 50000 من المنتخبين، وقدماء المحاربين والموظفين،أنظر ، عاشور شرفي،المرجع السابق، ص 147.

[3]- من الدراسات التي اهتمت بالإستراتجية السياسية والعسكرية الفرنسية خلال مرحلة الثورة التحريرية دراسة الدكتور الغالي الغربي الذي ركز على نظرية المعاقل المضادة المستوحاة من التجربة الفيتنامية ويشير بأن غالبية الضباط الفرنسيون العائدون من الهند الصينية كانوا يميلون إلى استخدام نفس التكتيكات القتالية التي بواسطتها حقق الفيتناميون انتصاراتهم العسكرية على الجيش الفرنسي في مجابهة جبهة وجيش التحرير الوطني ويضيف بأن هذه الأفكار ترحيبا وتشجيعا كبيرا لدى راوول صالان Raoul Salan خصوصا بعد تعيينه قائدا عاما للجيش الفرنسي بالجزائر في شهر ديسمبر 1956.لينطلق على التوّ في تجسيد الدروس والعبر المستخلصة من التجربة الفيتنامية التي عايشها بين سنوات(1952.1953):وللمزيد من التفاصيل أنظر: الغربي الغالي، فرنسا والثورة الجزائرية(1954-1958)دراسة في السياسات والممارسات،غرناطة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009، ص155-197،366-396.

[4] - وُصفت السياسة الاستعمارية في بُعديْها السياسي والعسكري بمصطلح **التهدئة** (La Pacification)حيث كان الفرنسيون مقتنعون بأن جبهة التحرير الوطني قد جمعت كل الشعب الجزائري خلْفها عن طريق الترهيب وهم بإغفالهم إرادة الكفاح والاستقلال لكل الشعب الجزائري ، لا ييأسون من العمل لاستعادة ثقة الجزائريين، وبهذا الصدد،لم يجدوا أفضل ما يصنعونه إلا ما سموه "التهدئة". فما هي التهدئة ؟ التهدئة هي خيار العمل العسكري معبرا عنها بأسلوب آخر، في ذهن مروجيها،إنها الهجوم السياسي الذي يجب أن يساير الهجوم العسكري. عاشور شرفي ،المرجع السابق.ص451.وللمزيد من التفاصيل حول مفهوم حرب التهدئة وإعادة الأمن:أنظر الغربي الغالي،المرجع السابق،ص361-366.

[5]- **القُوميــة** (**Les Goumiers**):لفظة كانت تعني في البداية الجنود الغير النظاميين في الجيش الفرنسي ،كانوا هؤلاء الحلفاء للجيش الفرنسي يحاربون حسب طريقتهم القبلية وكانوا متميزون عن الفرق الجزائرية النظامية وعن الجيش الفرنسي ،لفظة القومية أصبحت مرادفة للحركيين خلال الثورة التحريرية، أنظر:عاشور شرفي ،المرجع السابق،ص278.

[6] – **العُصفور الأزرق (عملية) (Opération Oiseau bleu)**: عملية قام بها الجيش الفرنسي بهدف خلق مقاومة مزيفة القوة (**ك – K**)عبر تجنيد 300 مجاهد مزيف،حدثت في ربيع 1956 أحيط كريم بلقاسم علما بها، من طرف أحد مفتشي إدارة أمن الإقليم DST ويدعى أوسمر Ousmeur فأذن بالعملية تحت إشراف محمد يازوران، العقيد سي السعيد فيما بعد. اعتقد الجيش الفرنسي أنه يتعامل مع مجاهدين مزيفين، فراحت تسلح مجاهدين حقيقيين من خلال تسليمهم400قطعة سلاح حربي و400بندقية صيد، عشية أول نوفمبر، مثّلت القوة–K–اشتباكا وأطلقت النار على الجنود الفرنسيين قبل أن تختفي في الجبال، وقعت المصالح الخاصة الفرنسية في موقف مضحك قرروا بعدها الانتقام عبر تدبير عملية "لابلويت" الشهيرة.أنظر: عاشور شرفي ،المرجع السابق، .ص227.

[7] – Jacques Valette, «Un contre-Maquis durable de la guerre d'Algérie : l'Affaire si Cherif 1957-1962 » , In Guerres mondiales et conflits contemporains , N° 208 - 2002 , p 07.

[8] – مصطفى بن عمر،الطريق الشاق إلى الحرية،دار هومة،الجزائر،2007 ،ص110.

[9] –وحول نفس الموضوع تشير بعض المصادر بأنه خلال تواجد بن سعيدي في إجازة تقدم إليه مسؤولوا الولاية السادسة طالبين منه الانضمام إلى الثورة دون تحقيق عن توجهه الوطني و سيرته الذاتية، انضم إلى الثورة و سرعان ما رقي إلى رتبة ضابط أول عسكري على رأس كتيبة مشبوهة، خصوصا عندما أصبحت لا تخضع لأوامر قيادة جيش التحرير الوطني و بدأ في السعي لاستيلاء على قيادة الولاية السادسة ودخل في صراع مع كتائب جيش التحرير و تآمر على المجاهدين حيث كان وراء استشهاد علي ملاح قائد الولاية السادسة و عندما زاد خطره على الثورة قام قائد الولاية الرابعة سي أمحمد بوقرة بمحاولة تصفيته، الأمر الذي دفع به إلى الاحتماء بالجيش الفرنسي؛أنظر مذكرات، النقيب محمد صايكي، مذكرات ثائر من قلب الجزائر،ط1،دار الأمة،الجزائر، 2002.، ص 212؛ و أيضا المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي، المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع و أحداث الثورة التحريرية (الولاية الرابعة) الجزء الأول، التقرير السياسي من 20 أوت

1956 إلى نهاية 1958، و أيضا: المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، تاريخ الجزائر (1830 – 1962) قرص مضغوط ، الجزائر ، 2002.

[10]– يشير الباحث الفرنسي جون توسون (Jean Taousson)أن عائلة بن سعيدي تعرضت للعقاب من طرف وحدة لجيش التحرير الوطني بقيادة الملازم الأول أحمد بن شريف (الفار من الجيش الفرنسي عام 1957) ، ويذكر أن هذا الأخير قام بضرب والدة بن سعيدي البالغة من العمر 88 عام ، وقام بإحراق مسكن أحد إخوته.أنظر :

Jean Taousson, « Si Cherif ou le vrai pacte » , In Historia , N° 229 , Mai 1972 ,p 1093.

[11]– أصله من واضية وهو من أبرز مجاهدي جيش التحرير الوطني الذين بعثت بهم الولاية الثالثة إلى الولاية السادسة، شهادة المجاهد الرائد لخضر بورقعة. في الندوة التاريخية حول الشهيد علي ملاح، المتحف الوطني للمجاهد يوم 1999/05/12.

[12]– Jacques Valette , « Un Contre -maquis durable.., op.cit, p08.

وأنظر أيضا:ملحق حادثة شريف بن سعيدي في:المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع و أحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة التاريخية، الجزء الأول و التقرير السياسي من 20 أوت 1956 إلى نهاية 1958.ص153–156.

[13]– Jean Taousson , « Si Chérif ou le vrai pacte », 0p.cit. p. 1088.

[14]– Jacques Valette , 0p.cit. p 08.

[15] – للمزيد أنظر:شهادة المجاهد حمود شايد في الندوة التاريخية حول الشهيد علي ملاح،المتحف الوطني للمجاهد،12–05–1995،(شريط سمعي بصري بمكتبتي الخاصة)،وقد أكد لي ذلك في ما بعد خلال مقابلة شخصية معه في مقر سكنه بشارع محمد الخامس بالجزائر العاصمة يوم 07جوان 1999.وأيضا أنظر:سعاد يمينة شبوط،منطقة سور الغزلان خلال الثورة التحريرية(1954–1962)،مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2005–2006

،ص 47 .

[16]- Témoignage sur l'affaire Bensaidi, http://www.chez.com / les affaires de la wilaya IV. Htm, Aout 2004 .

ويدعم هذا الطرح النقيب محمد صايكي الذي يرى بأن شريف بن سعيدي، أصبح ضمن السبعة المسؤولين الذين يشار إليهم بالبيان في الولاية السادسة. أنظر محمد صايكي، المصدر السابق، ص 225.

[17]- للمزيد حول الظروف العسيرة التي عرفتها تجربة منطقة الصحراء ثم الولاية السادسة خلال الثورة أنظر:عبد النور خيثر،تطور الهيئات القيادية للثورة الجزائرية 1954-962 ،دراسة تحليلية نقدية،رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر،جامعة الجزائر،قسم التاريخ 2006 ،ص ص 298-301 .

[18]- سعاد يمينة شبوط،المرجع ،سابق،ص ص 40-42 .

[19]- **الهادي بن هني**:المدعو أمحمد ديرة من مواليد سنة 1934 بسيدي عيسى ،ضابط في جيش التحرير الوطني التحق بالثورة سنة 1955 ،أصبح قائد فوج سنة 1956،ثم نائب قائد فصيلة عمر بازنقو،وبعد تشكيل كتيبة حميدو،أصبح ديرة قائد فصيلة وفي سنة 1957 التحق بالكومندو كجندي بسيط،وقد كان ذلك باختيار من سي عزالدين (رابح زراري)،غادر الكومندو مع نهاية شهر جويلية 1957،بعد استدعائه من طرف بوخالفة ليُعين كمسؤول على ورشة للمتفجرات بناحية عين بسام ،وقد بقي ديرة على هذه المصلحة بالمنطقة الأولى حتى سنة 1960،غادر المنطقة الأولى في شهر فيفري من نفس السنة وتحول الى المنطقة الخامسة،القي عليه القبض سنة 1961،بعد تعيينه قائدا للمنطقة الخامسة ،اخذ إلى مركز التعذيب بالداميات (المدية) لمدة 3أشهر،ثم أحيل على المحكمة العسكرية وحكم عليه بالإعدام ،نقل إلى سجن البليدة ،فرّمن السجن في 31جانفي 1962رفقة 31مجاهداًواتجهوا نحو الشريعة ثم شفة ومنها إلى تمزقيدة ليلتقي هناك مع يوسف بن خروف وسي حسان وعمر رمضان وسي عزا لدين ودهيليس وعلى لونيسي ،بعدها عين مجدداً على رأس المنطقة الخامسة حتى الاستقلال .أنظر نظيرة شتوان،المرجع السابق ،ص108،109،وأيضاً: مؤسسة الولاية الرابعة التاريخية، بمقر المنظمة الوطنية للمجاهدين ولاية البلدية – (شريط فيديو، رقم ف001،

26س)، بتاريخ 02 أوت 2001. وكذلك، عبد القادر ماجن، معركة جبل ديرة، مجلة أول نوفمبر، عدد 90.91 مارس افريل 1988ص 62.

[20]– أنظر شهادة المجاهد الهادي بن هني لمؤسسة الولاية الرابعة التاريخية، بمقر المنظمة الوطنية للمجاهدين ولاية البلدية- (شريط فيديو، رقم ف001، 26س)، بتاريخ 02 أوت 2001.وأنظر كذلك، عبد القادر ماجن، معركة جبل ديرة، مجلة أول نوفمبر، عدد 90-91 مارس افريل 1988،ص 62.

[21]– حسيني عائشة، الثورة في المنطقة الأولى للولاية الرابعة 1954–1958،رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر،2001–2002،ص ص70–71. ويؤيد مصطفى بن عمر في مذكراته هذه الرواية و اجتماع 22–24 أكتوبر 1956 لكنه لا يذكر حضور العقيد أوعمران في الاجتماع الثاني، ويشير إلى أن العقيد علي ملاح نظم هناك اجتماعا لإطارات الولاية السادسة ثم أرسلهم لتقصي الوضع وبداية العمل على تنظيم الثورة . للمزيد أنظر ، مصطفى بن عمر،الطريق الشاق إلى الحرية ،المصدر سابق،ص57. و ص 60–61 .

[22]– شهادة المجاهد الرائد لخضر بورقعة في الندوة التاريخية حول الشهيد علي ملاح التي نضمها المتحف الوطني للمجاهد، يوم 12 ماي 1999، وانظر أيضا:لخضر بورقعة.شاهد على اغتيال الثورة(مذكرات)،ط1، دار الحكمة،الجزائر، 1990،ص 80.وأنظر أيضا:.http://www

Le Matin-dz.net/ les gens/Ali mellah.htm, Août 2004. Kamel Omar, Ali Mellah Les Héros méconnus,

وأنظر كذلك:سعاد يمينة شبوط،المرجع السابق.ص48.

[23]– أصبحت منطقة سور الغزلان تابعة تنظيميا إلى الولاية السادسة باسم المنطقة الأولى وذلك طبقا لما نص عليه مؤتمر الصومام (20 أوت 1956) لعدة اعتبارات سوف نتطرق إليها بالتفصيل فيما بعد و قد حاول علي ملاح انطلاقا من هذه المنطقة وبتكليف من قيادة الثورة (لجنة التنسيق والتنفيذ) تنظيم الولاية السادسة التي أسندت إليه قيادتها. أنظر: المنطمة الوطنية للمجاهدين، ملف تاريخ الثورة التحريرية 20–08–1956 إلى نهاية 1958، مكتب منظمة المجاهدين، سور الغزلان (دون سنة

النشر)، ص 2، و أيضا: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ الثورة بالولاية السادسة، المخصص 20 أوت 1956نهاية 1958، ولاية بسكرة،(د.س.ن)، ص 3 .

24- Hamoud Chaid , Sans Haine Ni Passion pages d'histoire sur l'Algérie combattante , 3eme édition , Dahlab , Alger , 2005 .PP 105. 106.وأنظر كذلك:

Hmoud Chaid, La wilaya II Après le congrès de la Soummam. www.chez.com.wilaya4./Benstemory .htm , Août 2004.

وفي نفس السياق يذكر المجاهد جمودي شايد في شهادته بأن هذا الفيلق كان يتكون من 3 كتائب، بحيث كانت الكتيبة التي يشرف على قيادتها شريف بن سعيدي تتكون في معظمها من جنود ينتمون إلى عرش أولاد السلطان بعين بوسيف أي أبناء عمومته، شهادة المجاهد حمودي شايد، الندوة التاريخية حول الشهيد علي ملاح(مصدر سابق) .

25- Yves courrière , l'Heure des colonels , Ed Fayard, Paris, 1969. p64.

26-**عبد القادر خليفة المدعو(المدرب)**:من مواليد 27سبتمبر1932 ببئر غبالو،درس حتى سنة 1948،حيث تحصل على الشهادة الابتدائية ،ثم أجرى تربص تكوين مهني بالحراش،انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ،أدى الخدمة العسكرية الإجبارية سنة 1954بمستغانم ،حُول من مستغانم إلى سيدي موسى ،التحق بالثورة عن طريق اتصاله ببعض المناضلين منهم عبد القادر خيرات كلف بجمع الأموال ولما ألقي القبض على بعض عناصر خليته ،التحق بالمنطقة الأولى في 16نوفمبر1956إنطلاقا من الحراش إلى منطقة الأخضرية ثمّ انظّم الى فصيلة مصطاش حتى مارس 1957،أرسل ضمن كتيبة مكونة من 120جندي لجلب السلاح من المغرب في نفس الشهر ،وبعد عودته في جانفي 1958أرسل ضمن الكتيبة البرواقية التي كانت بقيادة نهّاي في سنة 1958،ثم أصبح مدرباً للكتيبة وهنا أصبح يعرف عبد القادر بالمدرب وفي نوفمبر 1959انتقل إلى قيادة قسم سور الغزلان ،ثم عضواً في قيادة ناحية سور الغزلان كمسؤول عسكري وبعد إنشاء المنطقة الخامسة عين قائداً لناحية سيدي عيسى ثم قائداً لناحية سور الغزلان وبعدها عضواً في قيادة المنطقة مكلفاً بالأخبار والاتصال.أنظر:نظيرة شتوان، الثورة التحريرية(1954-1962)الولاية الرابعة نموذجا،أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر،قسم التاريخ،جامعة تلمسان،2008/2007.،ص 132.

[27]–شهادة المجاهد، عبد القادر المدرب لمؤسسة الولاية الرابعة التاريخية، بمقر المنظمة الوطنية للمجاهدين ولاية البليدة (شريط فيديو -رقم ف 002 .026) بتاريخ 02 أوت 2001، ويؤكد هذا الطرح المؤرخ الجزائري محمد تقية حيث يرى بن الرُوجي تسبب في عدة مشاكل بفعل أساليب القسوة التي انتهجها اتجاه السكان.أنظر:

Mohamed Teguia),L'Armée de libération National en Wilaya IV, Ed Casbah, Alger, 2002, P 57.

[28]– Meynier , l'Histoire intérieure du FLN 1954-1962, .p398. Gilbert Publisud ,Paris 2000

[29]–حسب شهادات من عرفه عن قرب من ضباط وإطارات الولايتين السادسة والرابعة من أمثال كل من مصطفى بن عمر(من مواليد الأغواط)ومحمد صايكي(من مواليد سور الغزلان)وحمود شايد(من مواليد دلس) وغيرهم،كان علي ملاح قائدا ورعا ومتواضعا ووطنيا مخلصا،لذلك من الغريب أن يسمح لضباطه بارتكاب كل ما تدعيه الكتابات الفرنسية من تجاوزات في حق السكان، لأن ذلك كان نقيضا لجهده في كسبهم وتوعيتهم،والأغرب هو الإدعاء بجهل علي ملاح للغة العربية وقد كان الرجل من حفظة القرآن الكريم وإبن لامام في قرية مكيرة بذراع الميزان، يصفه صايكي قائلا" كان إذا نزل في الناس ....خطيبا ألان قلوبهم، ولئن عقلت الحجارة كلامه لذرفت من طيبة كلامه ".للمزيد أنظر: محمد صايكي، المصدر السابق ، ص 216 ؛ مصطفى بن عمر ، المصدر السابق ،ص 60 .

[30]– Jean Taousson , « Si Cherif ou le vrai pacte » , op.cit , p 1092.

[31]– محمد صايكي،المصدر السابق،ص219–220 .

[32]– لخضر بورقعة،المصدر السابق،ص93 .

[33]– Yves courrière , l'Heure des colonels, 0p.cit, p 66.

[34]– Hamoud Chaid , Ni Haine Ni passion , 0p.Cit, p113.

[35]- Hamoud Chaid , Ni Haine Ni passion , 0p.cit.p 11.

[36]- محمد صايكي ، المصدر السابق ، ص 219 .

[37]- .Hamoud Chaid, 0p.cit, p107-10.

وقد أكد لي ذلك فعلا المجاهد حمودي شايد خلال مقابلة شخصية لي معه في مقر سكنه بشارع محمد الخامس بالجزائر العاصمة يوم 07جوان 1999.

[38]- Hamoud Chaid , 0p.cit. p108.

[39]- مقابلة شخصية معه في مفر سكنه (بلوغين) الجزائر العاصمة في 1997/07/25 و يؤكد المجاهد حمودي شايد المدعو عبد الرحمن هذا الطرح في شهادته حيث يرى بأن علي ملاح استشهد في غابة أغبال بجبل شاور ناحية دراق يوم 31 مارس 1957 مع اثنين من مرافقيه ثم قام بن سعيدي بدفنهم في موضع محصور من سرير الوادي حتى لا يكتشف أمرهم:مقابلة شخصية معه بمقر سكنه (شارع محمد الخامس الجزائر العاصمة، يوم 07 جوان 1999).

[40]- حسب حمود شايد جاء بن سعيدي إلى النقيب عمور في دوار أولاد هلال بتاريخ 02-03 أفريل (الثاني أو الثالث من رمضان) وسلمه استدعاء مزور من علي ملاح يدعوهما معا لحضور اجتماعات للإطارات،وفي طريقهما نصب له كمينا ، ولما وصل بن سعيدي إلى مقر قيادة الولاية قدم لهم رواية مختلقة عن كمين فرنسي.لمزيد من التفصيل أنظر :

Hamoud Chaid, 0p.cit, p.113-114.

[41]-سعاد يمينة شبوط، المرجع سابق ،ص 53.

[42]- ورد هذا الرقم في رسالة للشريف بن سعيدي للجيش الفرنسي في عام 1960 يتفاخر فيها ب" أنه قائد الحركى الوحيد الذي قام بتصفية أكثر من600 "فلاقة" حتى قبل انضمامه إلى الجيش الفرنسي ...." . أنظر

Jacques Valette,«un contre –maquis durable.... », 0p.Cit, p. 30.

[43]- Yves Courrière, l'Heure des colonels, 0p.cit., p 66.

[44]- Mohamed Teguia, L'Agerie en guerre, OPU, Alger, 988. .p57.

[45]- محمد صايكي،مذكرات ثائر،المصدر سابق ، ص ص 44-45

[46]- Yves Courrière, l'Heure des colonels , Op.cit. p67.

[47]- محمد صايكي،المصدر السايق،ص 222؛لخضر بورقعة،المصدر السابق،ص 94

[48]- Yves Courrière, Op.Cit. p 67.

[49]- Jaque Du chemin, Histoire du F.L.N, Ed, Mimouni, Alger, 2006.., . P119

[50]- فسّر كوريير نجاح بوقرة في تسوية قضية بن سعيدي لصالح الثورة ، بخصوصيات شخصية لبوقرة الذي لم يكن يتجاوز آنذاك 27 سنة ، لكنه كان يمتلك شعبية كبيرة لم يمتلكها قائد آخر في الولاية الرابعة، وأنه كان محافظا سياسيا بامتياز في نسج علاقات وثيقة مع الإطارات و الجنود والسكان على حد سواء للمزيد ؛ أنظر :

Yves Courrière, op.cit., pp 69-76.

[51]- Valette , « un contre maquis..... », Op.cit.p09.

[52]- Ibid.p10.

[53]- Valette , « un contre maquis..... », Op.cit, p 12.

[54]- Valette, « un contre maquis..... », Op.cit.p 11.

[55]- Ibid. p19.

[56]- . Jacques Valette, « un contre maquis..... », .33 .